اللسانيات التمهيدية بين الموضوع والمنهج

Introductory Linguistics between subject and curriculum.

مامي حنان doc.mamihanane@gmail.com

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

بوحوش مرجانة mazdbou@yahoo.fr

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

تاريخ الاستلام: 2020/12/01 تاريخ القبول:2020/12/05 تاريخ النشر: 2021/01/01

ملخص:

تسعى اللسانيات التمهيدية على تبسيط وتقديم اللسانيات في صورة يسيرة الفهم، وبهذا الصنيع يغدو كاتبها أداة تثقيفية يمكّن القارئ العادي من الاسترسال مع صفحاته، وهنا تشير اللسانيات التمهيدية إلى الوظيفة التعليمية من أجل تقديم اللسانيات إلى المتلقي في أبسط صورة، وبهذه الأهمية تحتم على القارئ الإلمام بمبادئ اللسانيات إذا أراد الانخراط في دائرة الثقافة المعاصرة. وعليه يسعى هذا المقال للبحث في وظيفة اللسانيات التمهيدية من جهة، والبحث في موضوعها من جهة أخرى.

كلمات مفتاحية: اللسانيات، التمهيدية، الموضوع، المنهج.

Abstract:

Introductory Linguistics seeks to simplify and present linguistics in a simple way becomes the writer of linguistics an educational tool that enable the average reader to send through his pages. and here the introductory linguistics refers to the educational function in order to present linguistics to the recipient and this importance obliges the reader to learn the principles of linguistics if he wants to engage in the circle seeks to research the function of the introductory linguistics on the one hand and research its subjects and methodology on the other

Keywords: Linguistics, introductory, subject, curriculum

1.المقدمة

من المؤكد أن اللسانيات علم انبثق عن الحوض المعرفي الغربي، وكانت هذه الأخيرة قد تحققت لها كل الشروط لتغدو معرفة طيّعة في مجالات مختلفة. وفي المقابل كان للثقافة العربية حظّ وافر من هذا العلم الوافد. غير أن اللسانيات العربية لم ترق إلى مستوى نظيرتها في الغرب، إذ لازالت تبحث عن نفسها وتتلمس طريق الانطلاق، رغم وجود أبحاث لسانية لا تقلّ منزلة عن مستوى الأبحاث اللسانية الغربية، وهنا وجب على الكتابة اللسانية التمهيدية تيسير هذا العلم الوافد للقارئ العربي.وهذا سيكون موضوع مداخلتنا اليوم، حيث سنتطرق فيها إلى موضوع اللسانيات التمهيدية ومنهجها، مع إزالة بعض اللبس والغموض الذي يغطي هذا المجال المعرفي، وهذا بعد طرحنا لبعض الإشكالات أبرزها: ما المقصود باللسانيات التمهيدية؟ وماهو منهجها؟ وهل نجحت اللسانيات التمهيدية في بلوغ هدفها ؟

.اللسانيات التمهيدية:

1.2مفهوم اللسنيات التمهيدية

تلتزم اللسانيات التمهيدية بالجانب التعليمي أو التبسيطي،وبإعطاء القارئ المبتدئ المفاتيح التي تمكنه من حلّ كل مستغلقات اللسانيات، وتمكينه من مبادئها وتوجهاتها:" تشكل الغاية التعليمية الهدف الذي تروم تحقيقه اللسانيات التمهيدية، وهذا يستوجب أن يكون كل مؤلف من المؤلفات اللسانية التمهيدية بنية خطابية متكاملة علميا ومنهجيا. بدءا بعنوان الكتاب،مرورا بمقدمته،وعناوين أقسامه، وأبوابه، وفصوله، وصولا إلى خاتمته"[1] وهنا فاللسانيات التمهيدية تحاول أن تبسّط للقارئ تلك المفاهيم العصيّة والمستغلقة من أجل استيعابها وفهمها.

ومن المؤكد أن اللسانيات التمهيدية تسعى إلى تقديم اللسانيات ومفاهيمها في صورة يسيرة الفهم"هدفنا الوحيد ، الجدوى التربوية والإبلاغ التعليمي، وبهذا الصنيع يغدو الكاتب أداة تثقيفية إذ بوسعه يمكّن القارئ العادي من الاسترسال مع صفحاته متتبعا

قصة اللسانيات في يسر، وعلى غير تراكب فنّي"[2] وهذا ما نطلق عليه بالكتابة التمهيدية فتكون بمثابة تعاقد بين الكاتب والقارئ، تعاقد على الإقبال من لدن القارئ، وتسهيل وانتفاع من لدن الكاتب

وهنا تشير اللسانيات التمهيدية إلى الوظيفة التبسيطية من أجل تقديم اللسانيات إلى القارئ، وجلب المتلقي ومن هنا" أصبحت اللسانيات تحتل موقعا مركزيا داخل العلوم الإنسانية الشيء الذي جعلها تفرض عليها نموذجها التحليلي ومعجمها المفهومي"[3]

وهذه الأهمية تحتم على القارئ الإلمام بمبادئ اللسانيات وأصولها إن هو أراد مسايرة الركب والانخراط في دائرة الثقافة المعاصرة. وتفسّر هذه الأهمية بالإقبال المتزايد على علم اللسانيات وإقبال كثير من الدارسين على التخصص فيها، ضف إلى هذا ظهور عدد كبير من الأطروحات المتخصصة في هذا المجال، وهذا يؤكد على مدى تأثير اللسانيات في الدراسات الأكاديمية والجامعية.

اعتمدت اللسانيات التمهيدية على ما يسمّى "بالكتابة التمهيدية" وهي الكتابة التيسيرية التي تعمل على توضيح أيّ علم من العلوم، ورسم حدوده وضبط معالمه، ووضع فواصله، من أجل تبليغه للقارئ وإثارومن هنا الكتابة التمهيدية:" طريقة في التأليف لا يمكن لأي علم أن يذيع وينتشر بدونها، لذلك من الطبيعي أن يشكل هذا النوع من التأليف أحد الاهتمامات الأساسية لنشر العلوم وتقريبها إلى القراء"[4] والسؤال الذي نطرحه هنا: كيف ساهمت الكتابة اللسانية التمهيدية في تقريب اللسانيات إلى القارئ العربي؟ كنّا قد أسلفنا القول بأنّ اللسانيات التمهيدية غايتها تتحدد في التعليم فهي تقوم على الهدف التعليمي، ومن هنا وجب على كاتب أن تكون كتاباته بنية متكاملة، موضّحة بشكل مفصّل، هكذا حتى يستوعبها القارئ مباشرة، وهذا التوضيح يبدأ من العنوان، إلى المقدمة، وصولا إلى فصول الكتاب وخواتمه ومن هنا باشرت الكتاب اللسانية التمهيدية عملها بدءا من: أ العنوان: الذي يعدّ عتبة النص، وهو لا يقلّ أهمية عن العتبات الأخرى" فالعنوان هو مرآة النسيج النصي، ومن ثم فإن الأهمية التي يحظى بها العنوان نابعة من

اعتباره مفتاحا في التعامل مع النّص في بعديه الدلالي والرمزي"[5] ومن هنا فالعنوان هو العتبة الأولى التي من خلالها نفهم النص، فالقارئ لا يمكنه الولوج إلى عالم النص، دون فهم العنوان، فهذا الأخير يساعد القارئ على استكشاف مدلولات النص وتفكيك بنياته، فالعنوان هو المفتاح وبه نصل إلى أغوار النص.فالمتلقي يفهم العمل الأدبي من بوابة العنوان عن طريق التأويل، والفهم، ومن هنا يمكننا القول أن العنوان هو المكون النصي وهو السلطة التي تمارس على المتلقي، وهو الثريا التي تضيء النص أما المقدمة تعدّ الصورة المثالية التي يتطلّع الكاتب إلى إنجازها وإليها توكّل مهمة" توجيه القراءة وتنظيمها، وبالتالي تهيئ القارئ لاستقبال مشروع قيد الانجاز سيكون مجاله لا محالة من الكتاب، وهذا يعني أنّ المقدمة هي نوع من التعاقد بين المؤلف والقارئ"[6] ومن هنا تعدّ المقدمة العتبة أو البهو الذي من خلاله يلجّ المتلقي إلى دهاليز النص وأغواره وهذا ما يمكّن القارئ من مسك خيوط العمل والوصول إليه. وكل من العنوان والمقدمة يؤديان وظائف هامة في خطاب الكتابة اللسانية التمهيدية.ومن أهم هذه الوظائف نجد: الوظيفة الانفعالية أو التأثيرية[7]: فالهدف التعليمي هو الهدف الأسمى الذي تسعى الكتابة التمهيدية إلى تحقيقه، وهنا نجد هذه الكتابة تلحّ على هذا الجانب، وتوليه ما يستحق من اهتمام، فالعنوان والمقدمة هي أول ما يثير المتلقي ويغريه، وتظهر الغاية التعليمية بشكل مكثّف في مقدمات الكتب اللسانية التمهيدية المترجمة.جاء في أحد مقدمات المراجع المترجمة:" هو مرجع مبسّط، ويصل إلى حقائق الاتصال الشفهي، دونها الكثير من التعقيد الذي تتميز به بعض الكتب الأخرى في هذا الموضوع، إذ إنّه يحتوي على العديد من الصور والجداول والأشكال الإيضاحية، وهو مهتم بشكل رئيسي بكيفية إيصال الفكرة من دماغ المتكلم إلى دماغ المستمع"[8] وهذا يعود إلى كون هذه المراجع موجهة في الأصل إلى قارئ غير القارئ الغربي ولهذا يلجأ الكاتب إلى هذا التفصيل والتوضيح لازالة كل أشكال الغموض والإتباس .

2.2 موضوع اللسانيات التمهيدية:

تقدّم اللسانيات إلى القارئ العربي بالإشارة إلى موضوعها يقول علي عبد الواحد:" موضوعات علم اللغة موضوع عناية عدد كبير من أعلام الباحثين في أمم الغرب، وقد بذلت في هذا السبيل جهود قيّمة مشكورة، بلغ بفضلها هذا العلم درجة راقية من النضج والكمال، فوضحت حدوده ومناهجه، وهذّبت أساليبه وطرق دراسته، وتميزت فروعه بعضه من بعض، واختص في كل فرع منها عدد كبير من العلماء، فتوفروا على دراسته.."[9] من خلال هذا التعريف نفهم أنّ موضوع اللسانيات هو اللغة، فهي تهتم بدراسة اللغة دراسة وصفية، بالبحث في مدلولاتها وتراكيبها." واللغة التي تدور حولها مباحث علم اللغة وعلومها، وتتخذها موضوعا لدراستها ليست لغة بعينها، وإنّما هي اللغة التي تتمثل في كل الكلام الإنساني، فالأصول والخصائص الجوهرية التي تجمع بين سائر اللغات في كل صورها هي موضوعات علم اللغة..وليست لغة بعينها بل اللغة من حيث هي وظيفة إنسانية عامّة"[10] ومن هنا فاللسانيات تدرس كل أشكال اللغة وألوانها وتغيراتها، فهي لاتدرس لغة بعينها محدّدة، بل تدرس كل ما يرتبط بموهبة الكلام، باعتبار اللغة خاصية إنسانية فريدة تشترك فيها الناس جميعا.

إنّ أغلب التعريفات التي تقدمها الكتابة اللسانية التمهيدية تركّز على موضوع اللسانيات، بالإضافة إلى الموضوع نجدها تركّز على عنصر آخر وهو المنهج، وهنا نجد القارئ العربي بعدّ الموضوع يحاول أن يعرف ماهو منهج اللسانيات التمهيدية؟

منهج اللسانيات التمهيدية: 3

إذ تقدم اللسانيات إلى القارئ العربي باعتبارها منهجا علميا وصفيا تطبعه الدقة والوضوح، فهي قد نجحت " في تطوير منهج علمي متماسك له أدوات واضحة، وإجراءات قويّة، ومصطلحات مستقرة، وقد أصبح علم اللغة دون نزاع سيد العلوم الاجتماعية، ونموذجا لتطبيق مناهج العلم عليها"[11] فاللسانيات في دراستها للغة تعتمد على منهج علمي

دقيق، ذا إجراءات دقيقة، واضحة، ومن هنا فالمنهج هو الحيلة والطريقة، والسبيل الذي يتّخذه كل علم من العلوم لعرض أفكاره كما أنّه إجراء عقلاني منظم أي يسير وفق عملية عقلية بحتة بغية الوصول إلى الهدف.

وإذ اتضح أن تقديم اللسانيات إلى القارئ المبتدئ في الكتابة اللسانية التمهيدية يأخذ صورا مختلفة، من أجل تقريب اللسانيات إلى القارئ وإثارته ولفت انتباهه، ويكون ذلك عن طريق صور مختلفة بدءا بالموضوع والمنهج

ويبقى منهج اللسانيات التمهيدية غير مسبوق في مجال الدراسات اللغوية والسرّ في ذلك ما يعتمده من وسائل محدّثة لا تقتصر على هذه اللغة دون غيرها.

يأخذ التعريف باللسانيات التمهيدية ومحاولة تقريبها إلى القارئ العربي ضرورة إحداث مقارنة بين مبادئها ومبادئ التراث اللغوي، إذ يرى أصحاب هذا التوجه أنّه لابد من ذلك لمساعدة القارئ على فهم مبادئ اللسانيات الحديثة

تظهر هذه الرغبة عند التهامي الراجي إذ يقول:" إنّ لنا نحن العرب في هذا الباب علما قديما، بل ركاما من هذا العلم، فهل من الصواب أن نفرّط في هذا الكنز بدعوى أنّه جد جديد في الموضوع؟ أفلا يكون من الرصانة أن نحاول ربط الماضي بالحاضر. لاسيما وأن هذا الماضي مشرق ووضّاء لهذا كان لزاما علينا أن نربط الحديث بالقديم"[12] فهذا القول يؤكد ضرورة إحداث مزج ومقارنة بين اللسانيات في ثوبها الغربي، ومبادئ الدرس اللغوي في التراث العربي،" فالتهامي الراجي" يؤكد أن في هذا العلم بابا من التراث لابدّ من طرقه ولابدّ من ربط الجديد بالقديم والماضي بالحاضر" اقتناعا بضرورة الربط بين التراث ومناهج علم اللغة الحديث، كان لابد من المقارنة والمقابلة لعلّ في هذا تأصيل علم اللغة" ومثل هذه الآراء كثيرة فهي تحاول أن تربط بين التراث ومنهج علم اللغة والمقابلة بينهما.

1.3 قارئ اللسانيات التمهيدية:

اختلف الباحثون في تحديد قارئ الكتابة اللسانية التمهيدية" إنّ تحديد طبيعة القارئ المتلقي بالنسبة إلى الكتابة اللسانية التمهيدية سواء من حيث نوعية ثقافته العامّة، أو

من حيث مستواه المعرفي في مجال البحث اللغوي، يلعب دورا كبيرا في مدى تحقيق المهمة الملقاة على هذا الضرب من الكتابة والمتمثلة في تيسير المعرفة وتقريبها من ذهن القارئ العربي"[13] فكل كتاب له عدد معيّن من الجمهور، فحتى تكوم الكتابة مجدية ولها هدف لابدّ أن نتصور طبيعة الجمهور القارئ.

ورغم نجاح بعض المؤلفات اللسانية التمهيدية في تحديد قارئها، فإنّ الملاحظ أن مؤلفات كثيرة أخرى لم تهتد إلى تحديد صائب إلى هذا القارئ حتى وإن كانت مؤلفات تمهيدية تبسيطية فقد جاء في أحد المؤلفات التمهيدية في مقدمة كتاب علم اللسان:" لا أستطيع أن أتكهن من يكون قارئي الآن، ولا أستطيع أن أخمّن أيّة عينين تتابعان الآن حروف كتابي هذا وكلماته وأسطره، ولا أدري في أيّة يد وقع، أهي يدّ يافع يتوق للمعرفة، ويتحرّق لها، أم يدّ شاب بدأ يحدّد موقعه في حياة مجتمعنا، أم أنّها يد كهل اعتاد على موقف محدد من كل جديد أو قديم"[14] فهذا القول يؤكد لنا أنه ليس كل مؤلف يستطيع أن يخمّن من قارئه فالكاتب أحيانا يكتب وهو لا يعلم في يد من سيكون هذا الكاتب، وهذا ما يدفع بعض الكتاب إلى ضرورة تسهيل وتيسير الموضوعات التي يكتبون حولها وهذا مع طرح سؤال: من سيكون القارئ ؟!

الكتابة اللسانية التمهيدية والمتلقي: 2.3

أسلفنا القول أن الكتابة اللسانية التمهيدية ترتبط بالجانب التعليمي، ومساعدة القارئ المبتدئ من فك مستغلقات اللسانيات، وهذا ما تقدمه خطابات ومقدمات مؤلفاتها. غير أنّه من الملاحظ أنّ بعض المؤلفات تكون متونها تختلف عن ما جاء في عناوينها ومقدماتها وهذا يشوّش ذهن المتلقي" فأغلب المؤلفات اللسانية التمهيدية لم تحرص على انسجام عناوينها وخطاب مقدماتها مع متونها، بحيث لا تف أغلب المتون بما جاء في المقدمات، التي تجعل من كل ما تزخر به، من آراء وأفكار، ومشاريع نظرية، فيلقي القارئ نفسه غير مشدود إلى ما يقرأ مما يوجه القراءة نحو أهداف غير معلنة فيتحول

ذلك إلى إشكالات للتلقي"[15] تقدمه مختلف وبالنظر إلى ما تقدمه المؤلفات التمهيدية نجدها تختلف في موضوعاتها باختلاف تصورها للمتلقي، كما نجد اختلافا في منطلقاتها النظرية والمنهجية، والملاحظ هو طغيان الاتجاه الوصفي على غيره من الاتجاهات النظرية والمنهجية وهذا يعود إلى المكانة التي حظيت بها اللسانيات الوصفية في فترة من الفترات ولاشك أن أفق انتظار القارئ المبتدئ الذي يتلقى هذا النّوع من الكتابة سيخيب "وتخييب أفق انتظار المتلقي هنا لا يؤدي وظيفة جمالية،كما تنص على ذلك مبادئ نظرية التلقي، بل يؤدي وظيفة ابعادية"[16] . وبالتالي نجد المتلقي ينفر من ما يتقدم له في تلك المؤلفات، فيصاب بالخيبة، وهذا يدعو إلى النفور والتقزز من اللسانيات وقطع خيوط التواصل معها، فتكون الكتب اللسانية التمهيدية وسيلة للتنفير و الترهيب.
وهنا وجب على كتّاب اللسانيات التمهيدية جذب المتلقي وإغرائه ولفت انتباهه وبهذه الطريقة تقدّم الكتابة اللسانية التمهيدية إلى القارئ العربي وقد تبيّنا من تتبعنا لبعض تلك المؤلفات الحضور اللافت للوظيفة الانفعالية أو التأثيرية

فهذا العلم الوافد (اللسانيات) لم يقدموه في صورته الحقيقية من ناحية هدفه، قدموه كعلم جديد، وفي الأغلب قدموا النتائج وأهملوا المقدمات وقولنا هذا لا يجعلنا ننكر نجاح بعض المؤلفات اللسانية التمهيدية.

4. الخاتمة

من خلال ما تقدّم في هذا المقال نتوصل إلى النتائج الآتية:

1 اللسانيات التمهيدية هي ذلك العلم الوافد إلى البيئة العربية بغية تلقين القارئ العربي مبادئ اللسانيات وموضوعها ومنهجها.

2 تقدم اللسانيات التمهيدية في مؤلفات اللسانيات الحديثة والمعاصرة من خلال الكتابة اللسانية التمهيدية

3 للسانيات التمهيدية وظيفة تبسيطية وهي تعمل على إثارة المتلقي وإغرائه.

4 للسانيات أهمية كبيرة في حيز العلوم الانسانية هذا ما دفع القارئ العربي إلى ضرورة الإلمام بهذا العلم الوافد وهذا يحفزه على قراءة مؤلفات اللسانيات التمهيدية لمسايرة الركب والانخراط في دائرة الثقافة المعاصرة .

5 موضوع اللسانيات التمهيدية هو اللغة فاللسانيات تتخذ اللغة موضوعا للدراسة والبحث.

5. قائمة الإحالات

[1] حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد،ليبيا، ط1، 2009،ص99

[2] عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر، دط، 1986،ص06

[3] مبارك حنون، مدخل للسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، ط1987،1،ص17

[4] جميل حمداوي، السميوطيقا والعنونة، مجلة علم الفكر، ماي، 1987،مجلد25، ع3، ص107

[5] محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، الدار المصرية للنشر، ط4، دس، ص13

[6] المرجع نفسه، ص 13

[7] علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، شركة نهظة مصر ط9، 2004،ص19

[8] المرجع نفسه، ص19

[9] عبد الصابور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة للنشر، ط4، 1984، ص07

[10] المرجع نفسه،ص10

[11] سامي عياد حنا وشرف الدين الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2013،ص06

[12] المرجع نفسه، ص101

[13] ا لمرجع نفسه،ص102

[14] حافظ إسماعيلي العلوي، اللسانيات في الثقافة المعاصرة، ص118

[15] المرجع نفسه،ص127

[16] المرجع نفسه،ص127